المحاضرة العاشرة : حضارة الفرس:

الفرس هم من الشعوب الهندو- آرية التي هاجرت من أواسط آسيا إلى هضبة إيران في الالف الثانية قبل الميلاد، وكلمة إيران يعود أصلها إلى الآريين، وتعود فترة هجرتهم إلى ما بين الألف الثانية والأولى قبل الميلاد، وقد كانت بلاد فارس جزء من الامبراطورية السومرية والأكادية، كما سيطرت عليها عيلام وخضعت للأشوريون أيضا لكن الفرس تمكنوا بعد سقوط بابل من إقامة دولا عظيمة وكانت أولى إمبراطورية أقاموها هي الإمبراطورية الاخمينية في القرن السادس قبل الميلاد والتي سقطت على يد الاسكندر المقدوني سنة 331 ق.م، ثم خضعت بلاد فارس لسيطرة البرثيين، ثم ظهرت الدولة الساسانية وهي الامبراطورية الثانية للفرس.

تشير المصادر الاشورية التي تعود إلى الملك الاشوري شلمناصر الثالث (858-824 ق.م)، أنه خلال حملاته في الشرق واجه قبيلة ايرانية تدعى "بارسوا" في عام 844، أما ابنه شمسي أدد الخامس 823- 810 ق.م فقد استمر في العمليات الحربة التي قام بها ابوه في مناطق تعرف ب"باسواش" وهي تقع جنوب "كرمنشاه" ، وهذه النصوص هي اقدم النصوص التي ذكر فيها الفرس .

الامبراطورية الاخمينية : 533-331 ق.م

ظهر أرمركورش الثاني الملقب بقورش بن قنبوسيا في أواسط القرن السادس قبل الميلاد سنة 550 ق.م نهض بقومه الفرس، اخضع الميدين وبلاد عيلام ، وتوج امبراطور على عيلام وميديا وفارس، وكان في بداية أمره أميرا على منطقة "أنشان" قبل أن يتمرد على ملك الميديون استاجيوس بإيعاز من وزير هذا الملك **هارباجس** وقائد جيشه، وسبب تمرده هو أن الملك استاجيوس ربما سمح نبوءة تقول بفناء ملكه على يد طفل يوله لابنته التي تزوجت اميرا من الفرس، فطلب من قائد جيشه ان يقتل الطفل، إلا أنه لم يفعل وخبأه عند عائلة فقيرة.

وبعد عشر سنوات أكتشف "استياجيوس" أن قائد جيشه "هارباجس" لم ينفذ المهمة، فانتقم منه بالطريقة الشنيعة التي ذكرناها سابقا، مما جعل هذا القائد يضمر

الشر للملك، وبعد ان شب قورش عاد إلى قومه الذين اتحدوا تحت حكمه، وشن حملة ضد الملك استاجيوس واستطاع الانتصار على الميدين.

ولم يستطع الملك الميدي الاعتماد على حلفاءه البابليين فقد كان ملكهم الأخير "نابونيد" ضعيفاً ويواجه معارضة قوية من طرف الكهنة، وبعد أن انتصر قورش على الميديين توجه نحو مملكة ليديا، مستغلا حادثة اعتداء ملك ليديا "كريسوس" على مدينة فارسية هي بيتريا في مقاطعة كبادوكيا، استطاع بسهولة أن يقضي على الليديين ويستولى على مملكتهم ويضمها إلى إمبراطوريته سنة 546 ق.م .

كما توغل في أسيا الصغرى واخضع الممالك الإغريقية، ثم اتجه نحو الشرق فاكتسح أفغانستان وبخارى، ووجه أنظاره بعد ذللك لمملكة بابل أغنى وأقوى الممالك في زمنه لكنه كانت تعاني من انقسام داخلي، فالكهنة لم يرضوا على الملك نابونيد وابنه بلطاشر وكانوا يتآمرون مع الملك الفارسي، وبعد سلسلة من المعارك قتل فيها بلطاشر وأسر نابونيد آخر ملوك بابل فأرسله قورش إلى كرمان مع اسرته ، دخل قورش المدينة وخضعت له كامل بلاد الرافدين سنة 538 ق.م .

وقد عامل قورش البابليين بشكل جيد فقد احسن اليهم وسمى نفسه ملك بابل، وبنى معابدهم لذلك ازدهرت البلاد في عهده، ثم وبعد ان فتح بابل توجه نحو سوريا وفلسطين سنة 536 ق.م، وأمر بإعادة اليهود إلى فلسطين وبنى الهيكل وقد كانوا مأسورين في العراق منذ عهد نبوخذ نصر الثاني، فسار من العراق نحو 60 الف من اليهود إلى فلسطين ، وعين عليهم ملك من سلالة يهوياكيم اخر ملوك يهوذا، وتوفى هذا الفاتح العظيم سنة 539 ق.م متأثراً بجراحه في إحدى حروبه في وسط آسيا قرب نهر سرداريا (سيحون) بعد أن ترك امبراطورية تمتد من بحر البوسفور إلى نهر السند.

وتولى بعده ابنه قمبيز الذي واصل سياسة أبيه التوسعية فدخل مصر وقتل"باسمتيك الثالث" آخر ملوك الاسرة 26، والسبب في هزيمة "باسمتيك" ان هذا الاخير يعتمد في جيشه على بعض القادة من المرتزقة اليونانيين الذي خانه أحدهم وسقطت بعد

ذلك "منف" بايدي الفرس، كما أخضع قمبيز مملكة ماري في سوريا ولمدن الفينيقية جميعها وقد توفي وفاة غامضة وقيل بأنه اصيب بالجنون.

وكان دارا الأول 521–481 ق.م من أقوى الملوك الاخمينيين فقد وصل بتوسعاته إلى الهند واخضع كامل بلاد الاغريق وتوسع في أوربا إلى نهر الدانوب، وبني ووسع مدينة برسيبوليس العاصمة، وقضي على الثورات خاصة ثورة بابل التي تولى امر الثورة بها أحد الامراء البابليين السابقين، وهو "ندين توبيل " الذي لقب نفسه ب" نبوخذ نصر الثالث" وقد حكم سنتين فقط 221 –519 ق.م، حيث أن الفرس بعد ان حدث لهم اضطراب بعد وفاة قمبيز اختاروا "دارا" ملك عليهم، فتوجه بجيش كثيف إلى بابل ودرات حرب شديدة بينه وبين نبوخذ نصر الثالث فانتصر عليه وقتله، ودخل بابل وعاقب المتمردين، لكنه كان في بعض الاحيان اتبع سياسة مشابهة لجده الأكبر "قورش" المتسامحة مع الشعوب ودياناتهم وثقافاتهم، وقد استولى على أراضي واسعة في بابل وفي كل مدن بلاد الرافدين ومصر والشام ومعظم مدن الشرق الادنى ووزعها على افراد العائلة المالكة والنبلاء والموظفين الفرس.

حكام الفرس الاخمينيين :

قورش 550–529 ق.م ، قمبيز 529– 522ق.م ، دار الاول 521– 485 ، سرخس الاول بين 485 و 465 ق.م، أردشير الاول بين 465–424 ق.م ، ثم سرخس الثاني 424–423 ق.م ثم دار الثاني 423–405 ق.م ، ثم أردشير الثاني 405–359 ق.م، أردشير الثالث 359–338 ، دار الثالث 338–331ق.م.

بلاد فارس تحت حكم السلوقيون والبارثيون :

بعد وفاة الاسكندر اصبحت بلاد فارس من نصيب "سالوسيد" أحد قادة الإسكندر وسميت مملكته باسم المملكة السلوقية، وقد حكمت بلاد فارس بين 331– 126ق.م وقد بدأت المملكة عندما تمكن سالوسيد من دخول بابل وهزيمة خصمه انيكوس سنة 312 ق.م ، وكانت المملكة السلوقية كبيرة فهي تمتد من تخوم الهند إلى حدود مصر واسيا الصغرى ومن البحر الاسود على الخليج العربي ، وقد قسمها سابوسيد

على قسمين القسم الشرقي يمتد من حدود الهند على العراق وعاصمته "سلوقية" على نهر دجلة ، والقسم الثاني عاصمته انطاكيا وهي مدينة تقع عند حدود اسيا الصغرى مع بلاد الشام، توالى على حكمها عدة ملوك حملا اسم سلوقس أو انطيوخس.

وفي ضل حكم السلوقيين ظهرت دولة جديدة في شمال غرب إيران في منطقة خرسان وأخذت تقتطع أراضي واسعة في الشرق من السلوقيين، وقد كانوا في البداية اقوام بدوية تعيش في المناطق الجبلية شرق بحر قزوين وكانوا يتنقلون بين الجبال في المنطقة التي عرفت باسم خراسان، وفي سنة 250 ق.م تمكن زعيمهم "ارشاق" من الاستقلال بذلك الاقليم عن السلوقيين، وتعرف الدولة ايضا بالمملكة الأشكانية وما لبثت هذه المملكة أن توسعت على حساب السلوقيين حتى أصبحت تمتد في القرن الأول قبل الميلاد من بحر قزوين إلى الخليج العربي ومن نهر دجلة إلى أفغانستان.

وقد بدأ توسعهم نحو العراق في عهد ملكهم "مهرداد السادس" الذي حكم بين 175- 126 ق.م، حيث استولى على سلوقية ودمرها، وبني مدينة "تسيريفون" قربها وجعلها عاصمة لهم، ومن اشهر ملوك البارثيين "ميثراداتيس الأول" الذي حكم بين 171- 138ق.م فقد استولى على مملكة باكتريا اليونانية وهي أفغانستان الحالية ، كما شن حرباً ضد السلوقيين وانتصر عليهم وانتزع أقاليم ميديا وفارس وبابل من الدولة السلوقية، وفي أواخر عهد "ميترادات الثاني" ضعفت الدولة فانفصلت ارمينيا عنها، وبعد ذلك شن الرومان هجمات عليها واقتطعوا أجزاء واسعة منها، ومن اشهر الاباطرة الرومان الذين هاجموها "كراكلا" .

لكن نهاية البارثيون لم تكن على يد الرومان بل على يد سلالة فارسية جديدة هم الفرس الساسانيون بقيادة أردشير بن ساسان مؤسس الامبراطورية الفارسية الساسانية

الذي تمكن من القضاء عليهم سنة 226 ق.م، وقد اتبع البارثيون الديانة المزدكية[1]، وكانوا متسامحين مع الديانات الاخرى.

الساسانيون : 226-637 م

كان الامبراطور الروماني "كاليقولا" قد شن حربا على الامبراطورية البرثية التي كان يحكمها "أرتبان الرابع" واستولى على العراق منها، واشتدت الاضطرابات بالدولة وفي سنة 224م ثار الفرس بقيادة اردشير بن بابك من آل ساسان، الذي زحف بقومه من الهضاب غرب ايران إلى كامل بلاد فارس واستولى عليها جميعا وانظم اليه الكثير من الملوك وزحف نحو "تسريفون" عاصمة البرثيون واستولى عليها سنة 226 م.

تولى بعده شابور الاول 241-272 م وكان ملك قوياً تمكن من الانتصار على الرومان وأسر ملكهم "فالريانوس"، لكنه انهزم امام ملك الانباط العرب "أذينة الثاني" وهو ملك تدمر ، وقد ظهر في عهده "ماني"، تولى بعده "هرمز الأول ثم "بهرام الأول(273-276) الذي قتل ماني مؤسس الديانة المانوية ، ثم تولى بعد بهرام الثاني ثم بهرام الثالث ثم هرمز الثاني الذي حكم بين 302-309 م، ثم شابور الثاني الذي قاتل العرب وأخرجهم من العراق وتبعهم إلى الجزيرة العربية خاصة قبيلة تميم واياد[2].

والجدير بالذكر أن ثورة دينية واجتماعية قد حدثت في بلاد فارس في عهد "قباذ" ثم في عهد الملك "سابور الأول" و"هرمز الاول" و"بهرام الاول" و" الثاني" بين الديانة المانوية والديانة الزرادشتية المجوسية وفي عهد الملك "بهرام الثاني" فقد الفرس

---

[1] المزدكية هي ديانة اباحية تبيع لأهلها النساء والاموال ، حتى لا يختص الرجل بمال ولا بنساء ، وقد ظهرت سنة 484 ق.م، وقيل بانها تفرعت عن المانوية ، وقد ظهرت في عهد قباذ والد انوشروان ، وقد اعتنقها قباذ بن اردشير وانتشرت في البلاد ، وحلت محل الزرادشتية ، ظلت موجودة رغم انا انوشروان قام بقتل مزدك ، ينظر: عبد اللطيف بن على السلطاني ، المزدكية هي اصل الاشتراكية ، مطابع دار الكتاب ، الدار البيضاء ، المغرب ، ص17

[2] علي ظريف الاعظمي ، 1928، المرجع السابق ، ص36

أرمينيا التي استولى عليها الإمبراطور الروماني ديقليانوس، وتولى بعد ذلك حكام ضعفاء وتعرضت الدولة لهجمات من العرب والرومان.

وبعد أن تولى الملك سابور الثاني(309-379) قاد جيشه جنوباً ضدّ العرب واستطاع تأمين المناطقَ الجنوبيةَ مِنْ الإمبراطوريةِ، ثمّ بَدأَ حملتَه الأولى ضدّ الرومان في الغربِ وضد القبائل التركية على طول الحدودِ الشرقيةِ للإمبراطورية الساسانية التي كانت تهدد طريق الحرير ووصل بجيوشه في أحدى غزواته إلى الصين، وحارب الرومان وأخذ منه عدة مقاطعات وبعد وفاة الملك شابور الثاني حكم ملوك ضعفاء لم يقوموا بتوسعات تذكر.

ومن أهمهم يزدجرد الأول الذي يعتبر أكثر الملوكِ الساسانيين المشهورين، حيث خَلعَ ملك أرمينيا التابعة للإمبراطورية الساسانيةِ وجعلها محافظة تابعة للدولة وحقق انتصاراتِ على الرومان والأتراك والهنود، وتولى بعده الملك "يزدجرد الثاني "" الذي حكم بين 457 و438 الذي مارس سياسةً قاسية تجاه الأقليات الدينية خصوصاً المسيحية، وهاجم الإمبراطورية الرومانية الشرقيةَ مما جعل الإمبراطور البيزنطي "ثيودوسيوس الثّاني" يطلب السلام .

ومن الملوك الساسانيون الأقوياء الملك "قباذ الثاني" الذي شن حملة ضدّ الرومان سنة في 502 م واحتل أرمينيا، وفي سنة 503 م احتل مدينة "اميدا " وهي ديار بكر الحالية ، واسترد جورجيا وهزم البيزنطيين عدة مرات، وفي عهده تمكن اتباع الديانة المزدكية من فرض سلطانهم، بعدما اعتنق مذهبهم اعتلى العرش بعده ابنه كسرى الأول بين 532 و 579م و وقد لقب بأنو شِروان (أي الروحِ الخالدة)، وكان اتباع المزدكية قد تآمروا لتعيين اخاه الاكبر كاووس الذي كان على مذهبهم، إلا انه تمكن منهم ، وهو الأكثر شهرةً بين الملوك الساسانيين بسبب إصلاحاتِه في السلطة الساسانية الحاكمة خاصة الاصلاحات الضريبية وعرف بأنه ملك عادل ، وعقد معه البيزنطيون معاهدة سلام وذلك في عهد الإمبراطورِ البيزنطي جوستينيان الأول .

وفي سنة 540 م غَزا كسرى الأول سوريا ثم تدخل في اليمن بعدما طَلبَ منه معد يكرب سيف بن ذي يزن المساعدة لطرد جيش الحبشة من اليمن الذي كان يقوده مسروق بن أبرهة، فأرسل كسرى جيشا إلى اليمن في سنة 570 م وأصبحت بذلك جزء من الامبراطورية الفارسية.

وبعد وفاة كسرى الاول تولى بهرام الرابع ثم كسرى الثاني الذي حكم بين 590 و 628 م وهو يعتبر من أقوى الملوك الساسانيين ، وقد عاصر الرسول ﷺ ، بدا أمره بشن حربا على البيزنطيين مستغلا حالة الحرب الداخلية التي كانت يعيشونها فاستولى على سوريا وفلسطين ، وتوغل في آسيا الصغرى واقترب من القسطنطينية ، ورغم أن كسرى حقق انجازات عظيمة إلا أنه لم يستطع الاحتفاظ بها، فبعد أن تولى هرقل العرش البيزنطي (610 و 641) استطاع اجبار الفرس على فك الحصار، وبعد فترة قصيرة انتصر عليهم في معركة نينوى واستولى على العراق.

وحدث أن اغتيل كسرى الثاني على يد ابنه ، وتمزق ملكه كما قال الرسول ﷺ، وحدثت سلسلة من حوادث الاغتيال والانقلابات داخل الدولة وفي سنة 632 م اختار الفرس "يزدجرد الثالث" حفيد الملك كسرى الثاني كملك على الساسانيين، وفي السَنَةِ نفسها بدأت الفتوحات الإسلامية لبلاد الفرس وسقطت بلاد فارس بعد سلسلة من المعارك: معركة الجسر سنة 634 ومعركة القادسية 637 م، ومعركةِ نهاوند 642م، وبمقتل يزدجرد سنة 651م انتهت الإمبراطورية الساسانية وأصبحت جزء من البلاد الاسلامية .